**الدكتور : مصطفى كيحل**

**قسم الفلسفة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية**

**المادة التعليمية الأساسية: فكر عربي معاصر**

**السنة الثالثة ليسانس فلسفة**

**السداسي السادس**

**دروس نظرية في المادة التعليمية :**

**فكر عربي معاصر.**

**اللبيرالية في الفكر العربي الحديث و المعاصر :**

**القومية في الفكر العربي الحديث و المعاصر :**

السنة الجامعية 2019-2020

**رفاعة رافع الطهطاوي ( 1801-1873):**

ولد الشيخ الطهطاوي في السنة التي رحلت فيها الحملة الفرنسية عن مصر،بطهطا، و زاول الدراسة بجامعة الأزهر.

رشحه أستاذه الشيخ حسن العطار في يوليو 1826 كإمام ديني ومرشد لأول بعثة دراسية مكونة من 44 طالبا أوفدها محمد علي إلى فرنسا متأثرا بمستشاره الفرنسي السيد "جومار" وعاد إلى وطنه سنة 1831 وهناك عايش مرحلة من أهم المراحل التي عرفتها فرنسا من تحولات عميقة تولدت عن الثورة الفرنسية 1789 قام بترجمة الميثاق الدستور الفرنسي سنة1831 والتعليق عليه كما وصف ثورة 1830.

**من أهم مؤلفاته:** السيرة النبوية، في تاريخ مصر، المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تعريب القانون المدني المصري، تاريخ قدماء مصر، تخليص الأبريز في تلخيص باريز، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية.

**أفكاره السياسية:** يلاحظ في كتابات الطهطاوي التأثر الواضح بالتفكير السائد في القرن 18 في أوروبا وخاصة فرنسا ، وهي أراء تظهر أول مرة في المجتمع العربي.

الوطن والوطنية: ظهرت فكرة الوطنية وحب الوطن بالمعنى القوي الحديث في أوروبا الذي يقوم على التعصب لمساحة محدودة من الأرض، يرتبط تاريخها القديم بتاريخها المعاصر ليكون وحدة متكاملة ذات شخصية مستقلة، كما نجد اهتماما بالتاريخ القديم لتدعيم المفهوم الوطني الجديد.

الحرية: باعتبارها الأساس في نهضة أي أمة وفي تقدمها ، حيث تشكل الحرية المفهوم المركزي في المنظومة الفلسفية و الثقافية و الاقتصادية اللبيرالية .

المدونة القانونية: مدونة فقهية واضحة و محدودة في صورة مواد قانونية، على نمط المدونات القانونية الأوروبية ولأول مرة تنقل النظريات الثورية التي تريد أن تناقش الحكام فيما عليهم من واجبات وتبصر الشعوب بمالهم من حقوق. وعرضا للنظم الاقتصادية الغربية التي تقوم على المصارف والشركات.

ففي حب الوطن كتب: فجميع ما يجب على المسلم للمسلم يجب على أعضاء الوطن من حقوق بعضهم على بعض، لما بينهم من الأخوة الدينية فيجب أدبا لمن يجمعهم وطن واحد، التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن وغناه وثروته، لأن الغنى إنما يتحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية، وهي تكون بين أهل الوطن على التسوية لانتفاعهم جميعا بمزية النخوة الوطنية.

ثم يتكلم عن عظمة مصر الفرعونية ويعلل ذلك بقوله:"فمنه يعلم أنه كان بمصر إذ ذاك أحكام عادلة وقوانين مرتبة وحدود مشروعة خالية من الأغراض وهي نتيجة التمدن العام".

فالطهطاوي يقدم رابطة المصلحة الوطنية أو ما سماه "المنافع العمومية"" وهي الرابطة التي تقوم على الحرية و الإخاء والمساواة.

ولذلك يعقد فصلا بعنوان: "في أن أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالي الممالك الأجنبية واعتبارها في الوطن كالأهلية".

كما دافع الطهطاوي عن فكرة الحرية التي تضمن حماية المواطنين من القهر والاستبداد، وتمنحهم الحق في أن ينتقدوا الخطأ والظلم دون خوف.

كما يترجم في تلخيص الإبريز الدستور الفرنسي ويبرز إعجابه بالمادة الأولى التي تنص على أن: "سائر الفرنساوية متساوون قدام الشريعة" ويشيد بتقديسهم للحرية فيقول:"ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عند الفرنساوية وهي من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية، وتقدمهم في الآداب الحضرية وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والإنصاف. وذلك لأن معنى الحكم بالحرية هو التساوي في الأحكام والقوانين بحيث لا يجور حاكم على إنسان بل القوانين هي المحكمة المعتبرة.

كما يبدي الطهطاوي إعجابه بحرية النشر وخصوصا الورقات اليومية المسماة بالجورنالات و الكازيطات.

وفي كتاب" المرشد الأمين" يعقد فصلا في"الحرية العمومية والتسوية بين أهالي الجمعية" يتكلم فيه عن الحرية والمساواة ، ويقسم الحرية إلى خمسة أقسام: حرية طبيعية، وحرية سلوكية، حرية دينية، حرية مدنية،حرية سياسية، وقبل أن يتكلم عن كل قسم هذه الأقسام يقول: "فالحرية بهذه المعاني هي الوسيلة العظمى في إسعاد أهالي الممالك. فإذا كانت الحرية مبنية على قوانين حسنة عدلية كانت واسطة عظمى في راحة الأهالي وإسعادهم في بلادهم وكانت سببا في حبهم لأوطانهم".

ويقرر في تخليص الأبريز أن: " أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية إنما هي مأخوذة من قوانين أخر غالبها سياسي، وهي مخالفة بالكلية للشرائع".

ويتكلم عن تعديل ثورة1831 للدستور الفرنسي و تغييرها المادة التي تنص على أن مذهب الدولة هو الكاثوليكية. "وقد أسلفنا أن الفرنساوية على الإطلاق ليس لهم دين النصرانية غير الاسم، فلا يعتنون بما حرمه دينهم أو أوجبهم أو نحو ذلك".

ويقول في المرشد الأمين " بأن قوانين هذه البلاد" محض سياسة وضعية بشرية، لأن قوانين مثل هذه الممالك تبيح اختلاط الرجال والنساء، بناء على قانون الحرية المؤسس عليه تمدن تلك البلاد. وإلا فتمدن الممالك الإسلامية مؤسس على التحليل و التحريم الشرعيين، بدون مدخل للعقل تحسينا وتقبيحا، حيث لا حسن ولا قبيح إلا بالشرع".

يقول الطهطاوي في "مناهج الألباب" : "إن الانتظام العمراني يحتاج إلى قوتين: قوة حاكمة جالبة للمصالح دارئة للمفاسد وقوة محكومة وهي القوة الأهلية المحرزة لكمال الحرية، المتمتعة بالمنافع العمومية، في ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه ووجوه كسبه وتحصيل سعادته".

ثم يجعل للقوة الحاكمة ثلاثة أركان عظيمة:" فالقوة الأولى قوة تقنين القوانين وتنظيمها، وترجيح ما يجري عليه العمل من أحكام الشريعة أو السياسة الشرعية، والثانية قوة القضاء وفصل الحكم، والثالثة قوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضاء بها" ومن الواضح أن هذا التقسيم هو مبدأ مونتيسكيو في الفصل بين السلطات.

ويقول أيضا: "وفي هذه الأيام جميع الأحكام الملكية مؤسسة على العدل والأمانة وخلوص النية المتقوم منها الحق، وهو أبيض أبلج لا ينبني إلا على الإخلاص في القول والعمل وحسن العلاقات بين الراعي و الرعية، مما يغرس المودة والمحبة في قلب الملك ورعاياه، بسبب إتباعه الأصول المغلوطة وسيره على السنن القويمة حسب أحكام المملكة المشروطة".

كما يقترح الطهطاوي وضع مدونة قانونية تقوم على تنظيم كتاب بالأحكام الشرعية، بمناسبة تفرغ النوازل في هذه الأيام، بأكمل نظام، مما تنتظم به الأحكام القضائية في أوطاننا ويكون عمدة للقضاة والحكام.

وتجمع هذه المدونة مختلف المذاهب والآراء الفقهية "فاختلاف مذاهب الأئمة رحمة، وجواز تقليد أي واحد منهم والرجوع إليه اجتهاد" لأن التشديد والتخفيف في الأحكام حسب السيوطي يختلف باختلاف الأيام والأزمان.

وعموما يدعو الطهطاوي إلى:

1- وضع مدونة قانونية شاملة على نمط المدونات الغربية الحديثة.

2- الدعوة إلى تنظيم أحكام للمعاملات تلاءم العصر، والاقتباس عن نظم الغرب وذلك حسب الطهطاوي لا يتعارض مع الدين حيث يقول: " ومن زاول علم أصول الفقه، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد، جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية، التي وصلت عقول أهالي باقي الدول المتمدنة إليها، وجعلوها أساسا لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم، قل أن تخرج عن تلك الأصول التي بنيت عليها الفروع الفقهية التي عليها مدار المعاملات.فما يسمى عندنا بعلم أصول الفقه يشبه ما يسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية، وهو عبارة عن قواعد عقلية، تحسينا وتقبيحا يؤسسون عليها أحكام المدنية وما نسميه بالعدل والإحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية وما يتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين والتولع بحمايته يسمونه محبة الوطن".

وواضح أن الطهطاوي ينتصر للقوانين الوضعية " العقلية " في تسيير شؤون الدنيا والشأن العام ، خاصة أنه عبر بشكل واضح عن إعجابه بنمط العيش الغربي حيث أشار إلى الرقص الغربي مقارنة بالرقص الشرقي ، كما أشار إلى وضعية المرأة و حريتها في الذهاب إلى المسرح و الباليه .

أي أن النزعة الليبرالية بالنسبة لرافع الطهطاوي يمكن تبيئتها في الثقافة الإسلامية لأن المبادئ الكبرى في الليبرالية مثل الحرية و المساواة و العدل هي مقاصد كبرى في الإسلام .

**خير الدين التونسي (1820-1890):**

واحد من أبرز رجالات الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر تولى رئاسة الوزراء بتونس عرف بانفتاحه وميله إلى التجديد سافر في 1852 إلى باريس وأقام فيها ثلاث سنوات التحق بالجيش التونسي وعين وزيرا للحربية عام 1857 من أهم مؤلفاته: "أٌقوم المسالك في تدبير أحوال الممالك" و "دراسة الأسس التي قامت عليها المدنية الغربية".

يتأسس الفكر الإصلاحي عند خير الدين التونسي على نقطتين أساسيتين الأولى هي التجديد والاجتهاد في الشريعة بما يتلاءم مع ظروف العصر وأحوال المسلمين دون الخروج عن ثوابت الأمة والثانية ضرورة الأخذ بالمعارف وأسباب العمران الموجودة في أوروبا.

الحرية: يقرر خير الدين التونسي أن الحرية هي"منشأ سعة نطاق العرفان والتمدن بالممالك الأوروباوية ويقسمها إلى ثلاثة أقسام:

الحرية الشخصية: وهي إطلاق تصرف الانسان في ذاته وكسبه، مع أمنه على نفسه وعرضه وماله، ومساواته بأبناء جنسه لدى الحكومة.

الحرية السياسية: وهي حق الرعايا في التدخل وإبداء الرأي في صالح الدولة عن طريق المجالس النيابية، وحرية الرأي التي يسميها حرية المطبعة وهي متحققة على درجات متفاوتة في البلاد الأوروبية فيقول إن "أهم ما اجتناه الأوروبيون من درجة الحرية تسهيل المواصلات بالطرق الحديدية و تعاضد الجمعيات المتجرية والإقبال على تعلم الحرف والصنائع...

وقد رأينا بالمشاهدة أن البلدان التي ارتفعت إلى أعلى درجات العمران هي التي تأسست فيها عروق الحرية و الكونستيتوسيون المرادف للتنظيمات السياسية.

وبالجملة فإن الحرية إذا فقدت من المملكة تنعدم منها الراحة والغنى ويستولي على أهلها الفقر والغلاء ويضعف إدراكهم وهمتهم كما يشهد بذلك العقل والتجربة كما تأثر خير الدين بالمذهب الاقتصادي الحر لأنه يطلق الحرية للأفراد في مختلف النشاط البشري ولا يرى للدولة حق تدخل إلا في أضيق الحدود وهي حدود لا تتجاوز عند الأحرار الأمن والعدل والدفاع.

يقول في مقدمة كتاب " أقوم المسالك في تدبير أحوال الممالك " إنه قد تدبر أحوال الأمم وأسباب تقدمها و تأخرها فانتهى إلى أن رسم طريق الإصلاح و الرقي بالمسلمين لا يتأتى إلا بالنظر في أحوال الأمم الأخرى، وما جرى عليها من أسباب التقدم، ثم يتكلم عن وحدة العالم بسبب تقدم المواصلات مما يجعل حاجة بعضهم إلى بعضهم مؤكدة.

ثم يقول: " إن الشريعة الإسلامية كافلة بمصالح الدارين، ضرورة أن التنظيم الدنيوي أساس متين لاستقامة نظام الدين".

وأن علماء المسلمين مكلفون "بمراعاة أحوال الوقت في تنزيل الأحكام " ويقول أيضا أنه قد جمع في كتابه ما تيسر له من مستحدثات الأوروبيين " المتعلقة بسياستي الاقتصاد والتنظيم، مع الإشارة إلى ما كانوا عليه في العهد القديم، وبيان الوسائل التي ترقوا بها في سياسة العباد إلى الغاية القصوى من عمران البلاد، والغرض من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الأوروبية إلى ما هي عليه من المنعة والسلطة الدنيوية أن نتخير منها ما يكون بحالنا لائقا، ولنصوص شريعتنا مساعدا وموافقا، عسى أن نسترجع به ما أخد من أيدينا، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجود فينا".

وبالنسبة له هناك ضرورة للاقتباس عن الغرب، فهل " يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار إليه بدون تقدم في المعارف وأسباب العمران المشاهدة عند غيرنا، وهل يتيسر ذلك التقدم بدون إجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا من الناس، على دعامتي العدل والحرية، اللذين هما أصلان في شريعتنا، و لا يخفى أنهما ملاك القوة والاستقامة في جميع الممالك".

ويرى وجود الأخذ بالنظام الديمقراطي الغربي الذي يقوم على مسؤولية الوزارة أمام مجلس نيابي منتخب، ويجري في كلامه أن أعضاء المجالس النيابية يقابلون أهل الحل و العقد عند المسلمين . و يدعو إلى التعاون بين علماء الشريعة و رجال السياسة في التشريع للمجتمع بما يلاءم احتياجاته ، لأن استنباط المصالح السياسية على مقتضى الأحوال الشرعية صعب لا يتيسر لأكثر الناس. و ترك الولاة و الحكام يتصرفون بغير قيد من نصوص صريحة واضحة يفتح باب الجور.

فرجال " السياسة يدركون المصالح و مناشئ الضرر و العلماء يطبقون العمل بمقتضاه على أصول الشريعة ، و أنت إذا أحطت خبرا بما قررناه ، علمت أن مخالطة العلماء لرجال السياسة بقصد التعاضد على المقصد المذكور من أهم الواجبات شرعا لعموم المصلحة و شدة مدخلية الخلطة المذكورة في اطلاع العلماء على الحوادث التي تتوقف إدارة الشريعة على معرفتها . و معلوم أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، و بيان ذلك أن إدارة أحكام الشريعة كما تتوقف على العلم بالنصوص ، تتوقف على معرفة الأحوال التي تعتبر في تنزيل تلك النصوص ، فالعالم إذا اختار العزلة و البعد عن أرباب السياسة فقد سد عن نفسه أبواب معرفة الأحوال المشار إليها ، و فتح باب الجور للولاة .

و عليه فالتحول عند خير الدين التونسي لا يتحقق بتحصيل الخبرة الصناعية والفنية، بل في التغيير الجوهري في النظم السياسية والاجتماعية، فالنظم السياسية هي: " أساس التمدن والثروة في الممالك الأوروبية" ولذلك يتكلم عن الدستور ، واختصاصات الملك أو رئيس الجمهورية واختصاصات الوزارة واختصاصات المجالس النيابية.

خاتمة :

كان غرض الطهطاوي وخير الدين التونسي عرض الأفكار الأساسية التي تتأسس عليها أوجه الحياة السياسية من السلطة إلى العلاقات الموجودة بين الحاكم والمحكوم، وأن الحياة السياسية ليست وقفا على طبقة ولكن تهم أفراد المجتمع.

يقول لويس عوض: " إن الطهطاوي قد بث في مصر أقوى لغم من ألغام الديمقراطية، ونجح في ذلك عندما قدم نظريتها في شرط قيام المجتمع المدني أو الدولة، وان الدول تأسست لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الأحكام والحرية وصيانة النفس والمال والعرض، بموجب أحكام شرعية وأصول مضبوطة، حيث أبدى الطهطاوي تّأثرا كبيرا بأفكار مفكري الثورة الفرنسية ولذلك ترجم الميثاق الدستور الفرنسي المعدل مع تعليق واف وشرح لأسباب هذه التعديلات كما انه من المؤسسين لمدرسة الألسن لترجمة التراث الغربي، كما نجده في كتابه "مناهج الألباب" و يحث على التثقيف السياسي والعلمي والديني للمواطنين خدمة لصالح المجتمع و حقوق وواجبات كل مواطن، كما يرى أن جهد الدولة يجب أن ينصب على فتح المدارس والمعاهد لتكوين طليعة من المثقفين المسلحين بالعلم واللغات الأجنبية تمكنهم من الإطلاع على مختلف الثقافات، كما سعى إلى انجاز مشروعه الكبير المتمثل في المدرسة العليا للغات الأجنبية التي فتحت أبوابها سنة 1836.

كما قدم مفهوم الحرية بمعناه السياسي الحديث، وقدم مفهوم الدولة العصرية وأعطى مفهوما جديدا لمعنى الوطن والوطنية، ولا يرى اختلاف كبير بين مبادئ الشرع الإسلامي والقانون الطبيعي الذي أقيمت على مقتضاه دساتير أوروبا الحديثة مما دفعه إلى إعادة تفسير الشرع الإسلامي في اتجاه التطابق مع المتطلبات الحديثة وهو عمل ممكن بل واجب في نظر الطهطاوي.

وبالتالي فإن إشكالية الحداثة والحداثة السياسية في صراعاتها مع الأصالة والتراث تجد بذورها الأولى في فكر الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي عمل على الأخذ بأسباب الحضارة ووسائلها والتوفيق بين الأصالة و الحداثة.

**ثانيا** : **القومية في الفكر العربي الحديث و المعاصر**:

**في مفهوم القومية :**

تشكل الفكرة القومية إحدى الأسس و المرتكزات المهمة في إيديولوجية الحداثة الغربية ، و هي الفكرة التي اكتملت مع الثورة الأمريكية و الثورة الفرنسية ، فمفاهيم الوطن و الدولة و المواطن و الأمة و تشخص هذه المفاهيم في شعب واحد ، و هذا هو جوهر الفكرة القومية التي ارتبط انبثاقها بالقرن الثامن عشر و القرن التاسع عشر .

أما المفاهيم المشكلة لمفهوم القومية و هي الوطن و الشعب و الأمة في استقلالها عن بعضها فهي قديمة في الثقافة الغربية كما في الثقافة العربية ، "و هكذا فالعرب موجودون منذ قديم الزمان و النسابون القدماء يصنفون إلى بائدة و عاربة و مستعربة ، و جاءهم رسول الإسلام ليجعل منهم أمة و ليقيم فيهم دولة في وطن هو مسكنهم "

و أما الفكرة القومية التي تعني حق كل أمة في أن تقيم على وطن أبنائها دولة لها ففكرة غائبة تماما عن الفكر القديم و فكر القرون الوسطى و فكر عصر النهضة الأوروبية .

قد يعترض معترض كما يقول الجابري فيقول : إن العرب قد شكلوا أمة و كانت لهم دولة واحدة تتطابق مع هذه الأمة و على وطن ... و كان ذلك زمان الخلفاء الراشدين و زمن الأمويين و أيضا في جزء من عصر العباسيين ، و لكن هذا الاعتراض ينطوي على لبس .

إن شعار " القومية العربية " لم يبرز كشعار قومي عام و رائج إلا في منتصف الخمسينات من القرن الماضي ، أما قبل ذلك فلقد كانت الفكرة القومية العربية تعبر عن نفسها بألفاظ أخرى مثل " العرب " و " العروبة " ...و إذا استعملت عبارة " القومية العربية " فهي للدلالة على هوية عرب المشرق و بالخصوص مهم سكان سورية و لبنان و فلسطين و العراق و الحجاز ، و ذلك مقابل " الترك" و سياسة التتريك .

إن العربي كان يتحدد في هذه المناطق بواسطة " الأخر " التركي أساسا .

و في الجانب اللغوي فإن الفكرة القومية العربية لا تقبل التعبير عنها بتوظيف كلمة "أمة " . إن الفكرة القومية في اللغات الأوروبية يعبر عنها بالكلمة التي تفيد النسبة إلى كلمة الأمة " ناسيوناليزم نسبة إلى ناسيون ، و هذه الصعوبة اللغوية التي تفرض استعمال كلمة " قومية " للنسبة إلى " الأمة " هي مثار لبس كبير . ذلك ان لفظ القومية يفيد النسبة إلى "قوم " و هي كلمة فقيرة الدلالة إذ تدل على معنى " الجماعة " و في الغالب " جماعة الرجال دون النساء "

ف" قوم " الرجل شيعته و عشيرته ، أي الدين يقومون معه و ينهضون لنصرته أما " الأمة " فهي مفهوم أكثر غنى ، إنها تعني " الجنس " و " الجيل من كل حي " كما تعني " الدين و في القران الكريم " كنتم خير أمة أخرجت للناس " أي خير أهل دين ... و في ترتيب الجماعات يجعل اللغويون الأمة أوسع من الشعب و الشعب أوسع من القبيلة و القبيلة أوسع من فروعها .

و إذن فالقول " بأن العرب قد شكلوا أمة ذات دولة و في وطن " زمن الخلفاء الراشدين و الأمويين قول لا يستقيم إلا إذا فهمنا من لفظ " الأمة " معناه القرآني: " أهل دين " أي المسلمين عربا كانوا أو غير عرب ، و هذا شيء و الأمة بالمعنى الأوروبي الحديث شيء أخر و يتجلى ذلك بالرجوع إلى أصل الكلمة : فالأمة بالمعنى القرآني من ( الأم) بفتح الهمزة أي القصد و السير في اتجاه معين و هذا هو معنى السنة و الشرعة و النهج و الدين . فما يؤسس مفهوم الأمة بهذا المعنى هو ما تنزع إليه و تقصده ، فأمة كل نبي هم من أمن به و يتبعه ، و لا يقال " أمة الرجل" بل " قوم الرجل " ، لان الرجل لا يصبح صاحب أمة إلا إذا كان صاحب رسالة ، إلا إذا كان إماما للناس .

أما كلمة " ناسيون " الأوروبية فهي تفيد في أصل اشتقاقها معنى الولادة و العرق ، و هي لا تطابق مفهوم " القوم " باللغة العربية تمام المطابقة ، فالأمة بالمعنى العربي تشمل عدة أقوام فهي أوسع و هي رابطة روحية أكثر منها انتسابا إلى عرق . صحيح أن هذا لا يمنع من أن نجعل مفهوم الأمة يحمل معنى " ناسيون " في عبارة " الأمة العربية " ، و لكن النسبة إلى الأمة ( أمي ) لا تستقيم بهذا المعنى . و اللجوء الاضطراري ، لغويا ، إلى لفظ القومية للدلالة على النسبة إلى الأمة يضعف المفهوم و يجعله ملتبسا بالنزعة العشائرية و بالنزعة الجنسية العنصرية و لما كان الوطن العربي مجزأ إلى ولايات و أقطار مستقلة ، و كانت " الأمة العربية " شعوبا و قبائل موزعة على تلك الولايات و الأقطار ، فإن مهمة الفكرة القومية العربية كانت بالضرورة مهمة مضاعفة ذات ثلاثة أبعاد : نشر الوعي بوحدة الوطن و بضرورة توحيد الأمة ، و إقامة دولة الوحدة التي تتطابق معها .

**نشأة و سياق الفكرة القومية في الفكر العربي الحديث و المعاصر** :

يمكن التمييز بين لحظتين في نشأة الفكرة القومية العربية : اللحظة الأولى تمتد من منتصف القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين ، اللحظة الثانية تمتد من الحرب العالمية الأولى إلى نهاية القرن العشرين :

ظهرت الفكرة القومية في لبنان في منتصف القرن التاسع عشر في أوساط مثقفين مسيحيين عرب تأثروا بالحركة القومية الأوروبية ، و التي امتد تأثيرها إلى المناطق الأوروبية من الإمبراطورية العثمانية ( اليونان ، الأرمن ، بلغاريا ) و التي قامت تطالب بالانفصال عن الإمبراطورية العثمانية ، و طالبوا بحق العرب في الانفصال عن الترك ، و ضم هذا التيار مسلمين من لبنان و سوريا و فلسطين ، و تزامن ذلك مع حركة التوسع الاستعمارية الأوروبية .

وجدت الفكرة القومية العربية نفسها محاصرة بثلاث تيارات هي :

تيار الوطنية في مصر ، حيث كانت مصر مستغرقة في قضايا الداخلية بسبب الاستعمار الانجليزي .

تيار العثمانية في الولايات العربية ، و المطالبة بالعمل داخل الإمبراطورية العثمانية و إصلاحها من الداخل تيار الجامعة الإسلامية الذي بشمل الشرق كله ( جمال الدين الأفغاني و الجامعة الإسلامية )

و تراجعت الفكرة القومية التي تقضي بحق كل أمة في أن تكون لها دولة خاصة بها داخل حدود وطنها لأن الأمة العربية تتقاسمها ولاءات أخرى غير الولاء لها وحدها كقومية . و لذلك يركز دعاة الفكرة القومية على بناء هذه القومية بإحياء العربية و آدابها و المطالبة بجعلها لغة رسمية و لغة التدريس بدل اللغة التركية و من الناحية السياسية كان الميل إلى المطالبة بالحكم المحلي داخل الإمبراطورية العثمانية .

و تراجع تيار العثمانية الذي حاصر فكرة القومية العربية و الذي كان معظم زعمائه من رجال العرب مع بروز الفكرة القومية التركية الطورانية ، فالعرب الذين كانوا يفضلون التضحية بالدولة العربية المستقلة من أجل انقاد الإمبراطورية العثمانية سواء من خلال العثمانية أو في إطار الجامعة الإسلامية ، فقد وجدوا أنفسهم أخيرا أمام تيار قومي تركي يستهدف بالدرجة الأولى العرب ، إنها القومية التركية التي حملت رايتها جمعية " الاتحاد و الترقي " بعد أن تنكرت لشعار العثمانية ، وهي الجمعية تحولت إلى تيار سياسي في الأوساط العسكرية و تبنت الفكرة القومية على الطريقة الأوروبية ( 1908) و سعت إلى جعل الدولة مطابقة للأمة التركية وحدها ، و رأت في الفكرة القومية العربية الأخر الذي يجب محاربته .

لقد كتب أحد إيديولوجيي القومية التركية " جلال نوري " كتابه " تاريخ المستقبل " يقول : " علينا أن نهجر السوريين من أوطانهم و أن ننشئ مستعمرات تركية في كل من اليمن و الحجاز و أن نعتبر اللغة التركية لغة دينية ، هذه أمور يجب أن ننجزها بسرعة ، لأن الجيل العربي الصاعد يتأثر يوما بعد يوم بالتيارات العنصرية ( يعني القومية ) .

و لذلك نادوا بترجمة القران إلى اللغة التركية و فرضوا تدريس هذه اللغة في المدارس الابتدائية في الولايات العربية ، كما انتشرت عبارات الإذلال و التحقير للعرب في اللغة اليومية التركية و بذلك تم إجهاض مشروع العثمانية و الجامعة الإسلامية مما فسح المجال لانتشار الفكرة القومية العربية ، خصوصا و قد أصبح العرب مستهدفين ليس فقط كأمة أو قومية بل أيضا كوجود و كلغة و دين ، إن سياسة التتريك على المستويات السياسية و الإدارية و التعليمية ، لا بد أن تثير رد فعل مضاد و هو التعريب " تعريب الوعي " و من هنا شعار العروبة الذي رفع ليعبر عن الفكرة القومية عند العرب إزاء قومية أخرى هي القومية التركية الطورانية .

و في هذه الأثناء تدخل الغرب ضد الأتراك الذين كانوا ضده في الحرب العالمي الأولى ، و ناصر ثورة الشريف حسين بمكة ضد الأتراك ، و بتنسيق مع بريطانيا و سيرأس ابنه فيصل الأول دولة عربية حديثة في سوريا ، غير أن مصالح الغرب كانت متجهة لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية بوصفها غنائم و هكذا انتهى الأمر بالعرب للوقوع تحت سيطرة الامبراطوريتن الاستعماريتين بريطانيا و فرنسا ، و خضع المشرق العربي للحكم البريطاني الفرنسي ( انتداب ، حماية ، استيطان ) عقب سقوط الخلافة العثمانية و قيام دولة تركية علمانية موالية للغرب .